الأيمان.. أي القسم في القرآن والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن ولاه.

وبعد.

(١) ـ فيقول المولي عز وجل: ﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم. لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم ﴾ البقرة ٢٢٣ـ ٢٢٤).

(٢) ـ ويقول سبحانه وتعالي: ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾ (آل عمران: ٧٧).

(٣) ـ ويقول سبحانه : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم. واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون﴾ (المائده :٨٩).

(٤) ـ وقال تعالي: ﴿ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا﴾ (النحل: ٩١).

(٥) ـ وقال تعالى : ﴿ ولا يأتل أو لوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربي والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ (النور: ٢٢).

(٦) ـ وقال تعالي: ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين ﴾ (القلم: ١٠).

هذا والأحاديث النبوية الشريفة التي بينت وفصلت ما أجمل في هذه الآيات القرآنية الكريمة كثيرة. ستأتي في ثنايا البحث بمشيئة الله تعالي. مَعْزُوَّة إلى من أخرجها وقد تضمنت النصوص القرآنيه والنبوية كل ما يتصل بالأيمان بالشرح والبيان وإلي القارئ الكريم الشرح والبيان.

واليمين تنعقد بالله تعالي. أو باسم من أسمائه. أو صفة من صفاته كعزته وجلاله.

قال ابن هبيرة في كتاب الإجماع: « أجمعوا علي أن اليمين منعقدة بالله. وبجميع أسمائه. وبجميع صفات ذاته كعزته وجلاله وعلمه وقوته وقدرته».

[أ] النهي عن الحلف بالمخلوق.

ينهي الإسلام عن الحلف بالمخلوق. علي سبيل التحريم إن اعتقد الحالف في المحلوف به من التعظيم ما يعتقده في الله. لأنه يكفر بذلك.

أما إن اعتقد في المحلوف به ما يليق به من التعظيم. الذي يناسب المخلوق. فلا يكفر ولا تنعقد يمينا » ويكره الحلف بذلك كراهة تحريم. وقيل كراهة تنزيه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:« إن الله تعالي ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم. فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » متفق عليه.

وقال ﷺ:« لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم » رواه مسلم والطواغي: جمع طاغية. وهي الأصنام.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رجلا يقول:لا.والكعبة. فقال ابن عمر: لا تحلف بغير الله. فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:« من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي. وحسنه.

ومفهوم أنه يكفر بالحلف بغير الله إن اعتقد في المحلوف به من التعظيم ما يعتقده في الله كما تقدم.

أما إن اعتقد في المحلوف به ما يليق به من التعظيم الذي يلائم المخلوق. فلا يكفر ولا تنعقد يمينا كما تقدم. مع كراهة الحلف بذلك كراهة تحريم أو تنزيه.

والكعبة معظمة في الإسلام. ولها حرمتها. وحرمة المسلم عند الله أعظم من حرمتها قال ﷺ مشيروا إلي الكعبة:« ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن عند الله أعظم حرمة منك ».

ولكن ذلك كله دون عظمة الخالق جل وعلا.

وقد نهي الإسلام عن الحلف بالأمانة. وهي أمر من أمره تعالي. وفرض من فروضه دفعا لتوهم الحالف بها مساواتها لأسماء الله تعالي وصفاته.

عن بُرَيدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « من حلف بالأمانة فليس منا» رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وكذلك نهي الإسلام عن صيغ تشيع بين الناس يحلفون بها. والحلف بها خطر على دين المسلم من ذلك قول الحالف **﴿إني برى من دين الإسلام إن كنت كاذبا﴾** قال ﷺ: « من حلف فقال: إني برئ من الإسلام فإن كان كاذبا فهو كما قال. وإن كان صادقا فلن يرجع إلي الإسلام سالما». رواه أبو داود.

وهو إن قصد بيمينه هذا العزم علي الكفر فهو كافر في الحال. وهذا ليس بيمين عند مالك والشافعي. ولا تجب فيه كفاره. وقائله آثم إن لم يقصد به العزم علي الكفر. وعليه أن ينطق بالشهادتين ندبا.

[٢] ـ ويحلف المولي بما شاء من خلقه.

وهذا ورد كثيرا في القرآن. قال تعالي: **﴿ والضحي والليل إذا سجي ما ودعك ربك وما قلي ﴾** وقال سبحانه: **﴿ والشمس وضحاها. والقمر إذا تلاها ﴾** إلي قوله **﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾**.

كما يحلف بمن شاء من خلقه. قال تعالي: « لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون » أقسم بحياة نبيه ﷺ وفي هذا تشريف عظيم له ﷺ والقسم بالمخلوقات منه سبحانه للإشارة إلي تعظيمها كالحلف به ﷺ أو للإشارة إلي عظيم إبداع الله فيها.

وقد نهانا سبحانه عن الحلف بالمخلوقات لإغلاق باب الشرك به سبحانه وتعالي.

[٣] ـ ويجوز الحلف به ﷺ من المسلم.

فقد ذهب بعض الحنابلة إلي جواز الحلف بنبينا سيدنا محمد ﷺ فقال: تنعقد به اليمين. وتجب الكفارة بالحنث. واستدل على جواز الحلف به بكون الإيمان بنبوته ورسالته أحد ركني الشهادة التي لا تتم إلا به.

راجع فتح الباري. شرح صحيح البخاري جـ ١٤ ص ٣٤٠.

والمراد بركني الشهادة: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله فلا يقبل الركن الأول إلا مع الثاني. فمن آمن بوحدانيته تعالىلله دون الإيمان برسالته ﷺ فهو كافر. لأنه قد رفض ما جاء به سدنا محمد من الوحي عن الله. ومن قرآن وسنه.

ومن هنا فما يشيع بين المصريين من الحلف بالنبي ﷺ. من قولهم: والنبى ما فعلت كذا. أو والنبي لا أفعل كذا. هو يمين مشروع. وتجب الكفارة بالحنث فيه. وهم في ذلك مقتدون ببعض الحنابلة.

[٤] ـ العفو عن لغو اليمين.

قال تعالى: ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾.

فالمولى عز وجل خفف عن عباده بعدم مؤاخذتهم. بما جرت عادة الإنسان بالإتيان به في كلامه من غير قصد لتحقق اليمين.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أنزلت هذه الآية « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم » في قول الرجل: لا والله. وبلى والله » رواه البخاري.

فيسبق اليمين إلى لسانه عادة دون قصد إليه. أو نية له.

[٥] ـ كراهة كثرة الحلف

قال تعالي ﴿ ولا تطع كل حالف مهين ﴾

والحلاف: هو كثير الحلف في الحق والباطل. وكفي بذلك مزجرة لمن اعتاد الحلف وعن أبي قتادة رضي الله عنه أنه سمع رسولا الله ﷺ يقول :«إياكم وكثرة الحلف في البيع فإنه يُنَفّق ثم يمحق » رواه مسلم .

أي يساعد على رواج السلعة وبيعها بأغلى من ثمن مثلها ثم يمحق البركة من التجارة فمن عرفه الناس بكثرة الحلف لا يثقون فيه وينصرفون عنه إلى غيره. وفي كثرة الحلف بالله لرواج السلعة فيه جعل اسم الله تعالى آلة لنفاق متاعه وأخذه عرض الدنيا به. ذلك إن كان صادقا. وإن كان كاذبا فالذنب أعظم وكل ذلك يقتضي محق البركة وزوالها.

[٦] ـ ندب الحنث في اليمين لما هو خير

قال تعالى ﴿**ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربي والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم**﴾

عن عبد الرحن بن سمرة رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ « إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفرعن يمينك»متفق عليه.

«نزلت الآية في الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة أبدا بعد ما قال في أم المؤمنين السيدة عائشة ما قال: في حادثة الإفك.

ومسطح بن أثاثة ابن خالة الصديق. وكان مسكينا لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر رضي الله عنه. وكان من المهاجرين في سبيل الله. وقد زلق زلقة تاب الله عليه منها وضرب الَحدَّ عليها. فنزلت هذه الآية في حث الصديق على مواصلة العطف عليه بعد إقامة الحدّ عليها وتوبته مما وقع فيه. وهي حث لكل مسلم ومسلمة على تكفير اليمين وإتيان ما هو خيرٍ تفسير ابن كثير حـ٤ ص٢٧٦.

والحديث النبوي الشريف يوضح لنا الطريق إلى الرجوع إلى الخير بكفارة اليمين.

[٧] ـ النهي عن اللجاج في الأمر. وهو الاستمرار في الخطأ بسبب اليمين مع تبين خطأه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لأن يَلَجَّ أحدكم في يمينه في أهله آثم له عند الله تعالى من أن يُعطي كفارته التي فرض الله عليه » متفق عليه.

قال الإمام النووي:« معنى الحديث أن من حلف يمينا تتعلق بأهله بحيث يتضررون بعدم حنثه فيه. فينبغي أن يحنث. فيفعل ذلك الشيء. ويكفر عن يمينه. فإن قال: لا أحنث بل أتورع عن ارتكاب الحنث خشية الإثم فهو مخطئ بهذا القول. بل استمراره علي عدم الحنث وإقامة الضرر لأهله أكثر إثما من الحنث. مع أن الحنث لا إثم عليه. إذا كان لا معصية فيه.

وصيغة التفضيل في قوله: آثم لمقابلة لفظ الحالف حسب توهمه. فإنه يترك الحنث لتوهمه أن في الحنث إثما. وهو لا إثم فيه إن كان فيه خير. ولا معصية فيه» فتح الباري حـ١٤ ص٣٢٣

[٨] ـ تغليظ عقوبة من تعمد الكذب في يمينه. وتعمد الكذب هو اليمين الغموس.

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « من حلف علي مال امرئمسلم بغير حقه لقي الله وهوعليه غضبان» قال ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ عليه مصداقه من كتاب الله عز وجل ﴿ **إن الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمنا قليلا أولئك لاخلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم** ﴾ متفق عليه.

والغضب: يراد به غايته. وهو الانتقام من الذي يحلف كذبا متعمدا. وذلك بإدخاله النار وتحريم الجنة عليه. وذلك هو الخسران المبين عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: « من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة. فقال له رجل وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله؟ قال: وإن كان قضيبا من آراك» رواه مسلم. وقضيب الأراك: هو غصن شجر الأراك الذي يتخذ منه السواك.

والتعبير بالمسلم في قوله: « حق امرئ مسلم» يتسع فيشمل الذمي. فله نفس هذا الحق. وهو حرمة ماله. وعقاب آخذه ظلما.

واليمين التي يقتطع بها مال المسلم كذبا تسمي باليمين الغموس. لأنها تغمس صاحبها في النار. وهي من الكبائر.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص الله عنهما عن النبي ﷺ قال:« الكبائر» الإشراك بالله. وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس » رواه البخاري فتأمل أخي المسلم كيف جمع الحديث الشريف بين اليمين الغموس وبين الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس.

والكثير من الناس يجهل خطورة اليمين الغموس فيحلف كاذبا لترويج سلعته على أن ثمنها كذا وكذا ليسرق أخاه المسلم باليمين الغموس

[٩] من قال: « أشهد بالله يكون حالفا بالشهادة.

ذهب إلى ذلك الحنفيه والحنابلة والشافعية وهو الراجح عند الحنابلة وقال ابراهيم النخعي: وكان أصحابنا ينْهَوْنا ونحن غلمان أن نحلف بالشهادة والعهد.

قال ذلك ابراهيم النخعي تعليقا علي حديث عبد الله بن مسعود قال سئل النبي ﷺ أي الناس خيرِ؟. قال: قرني. ثم الذين يلونهم. ثم الذين يلونهم ثم يجئ قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه. ويمينه. شهادته» قال ابراهيم النخعي: وكان أصحابنا ينهونا ونحن غلمان أن نحلف بالشهادة والعهد » رواه البخاري في صحيحه بسنده.

وابراهيم النخعي من رواه هذا الحديث. رواة عن عَبيدة عن عبد الله بن مسعود. والمراد من قوله: « تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته » أنه يحلف علي تصديق شهادته قبل أدائها أو بعده. وذلك لقلة مبالاته بالحلف.

[١٠] ـ من حنَث ناسيا لا تجب عليه كفارة الحنث. وكذلك من حَنث مكرها

وذلك لأن كلا من الناسي والمكره لا ينسب فعله إليه شرعا. لرفع حكمه عنه لقوله تعالى: « ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به »وقوله تعالى: ﴿ **لاتؤاخذني بما نسيت** ﴾. والحديث: « من أكل ناسيا» أي لا يفطر.

أخي المسلم تلك خلاصة موجزة عن الأيمان ـ أي القسم ـ نتعلم منها ألا نكثر من الحلف. وألا نحلف إلا مضطرين. وإذا استحلفنا من غيرنا.

كما نتعلم منها أن نرجع إلى ما امتنعنا عنه بالحلف بالحنث في اليمين وتكفيره إذا كان الحنث أفضل من اللجاج.

نفعنا الله بما علمنا و علمنا ما نجهل إنه سميع قريب مجيب.